Animal stories in ancient Arab heritage - selected examples-
Dr. Sublime Qaa El Kef
جامعة الجزائر ٢ - كلية اللغة العربية
جامعة الجزائر ٢ - كلية اللغة العربية
وآدابها واللغات الشرقية - قسم اللغة
العربية وآدابها
Dr. Sublime Qaa El Kef
University of Algiers 2 -
College of Arabic
Language, Literature and
Oriental Languages -
Department of Arabic
Language and Literature
samia.kaaelkef@univ-alger2.dz

الكلمات المفتاحية: القصص الحيوانية، التراث العربي القديم، السرد

Keywords: Animal stories, ancient Arab heritage, narrative

الملخص

شكل الحديث عن حيوانات الصحراء حضوراً واسعاً في الشعر الجاهلي، فقد وظّفها الشعراء كمشبه به للناقة، وصاغ منها قصصاً شعرياً ليس بهدف السرد القصصي، أو تحقيق المتعة الفنية، أو الكشف عن درايته بعالم الصحراء والحيوان فحسب، بل اتّضح أنّها قصص رمزية استعان بها الشاعر لبحث المزيد من فلسفته المتصلة بالقضية الوجودية، وموقفه من الفناء والدهر، وصراع الإنسان وكفاحه في الحياة .

Abstract

Talking about desert animals formed a wide presence in pre-Islamic poetry, the poet employed them as a resemblance to the camel, and formulated poetic stories not only with the aim of storytelling, or achieving artistic pleasure, or revealing his knowledge of the world of the desert and animals only, but it turned out that they are symbolic stories used by the poet to broadcast more of his philosophy related to the existential issue, and his position on annihilation and age, and the struggle of man and his struggle in life.

التمهيد

جرى التقليد أن تجيء صورة حيان الصحراء- في غير قصائد الرثاء- عقب الحديث عن الناقة، في معرض إدعاء الشبه بينها بين واحد من هذه الحيوانات أو أكثر، ولم يشذ عن القاعدة إلا القليل من القصائد، ومن عادتهم أن يبتدىء الشاعر حديثه عن الحيوان بادعاء الشبه بينه وبين ناقته بالقوة تارة وبالسرعة أخرى، وربما يجيء به من القصائد دون أن يلمح فيها.

١- قصة الثور الوحشي :

تبدأ قصة الثور الوحشي في المساء عندما يلجأ الثور إلى شجرة الأزطى الفخمة والتي تلازم صورة الثور، يبقى بها عوادي الرياح والمطر وتمكنه من الاختفاء عن الأنظار إذ أنه يحفر في أصلها حفرة يبيت فيها، لكن الرمال اللينة الهشة تنهال من تحته، وتخونه في الاستناد إليها ولا تمكّنه من الثبات، يظل يعالجها ويغالبها حتى الصباح. وليست الرمال الخؤون مصيبة هذا الثور، وإنما الرياح الشمالية الباردة أيضا التي تضرب وجهه بحبات البرد، فيسل لها قرنيه والمطر المتصيب على ظهره والأصوات المخيفة التي تنبعث في ليل الصحراء، فيصيح لها السمع ويتبع شطر ما ناظره، يرمي بهما الغيب ويظل الثور طيلة ليله قلقاً متوجساً متعباً ومهموما لا ينام.

ولا ينسى الشاعر أن يقدم لنا العديد من صفات الثور الجسدية التي تتكرر في أكثر القصائد، هذا في القسم الأول من القصة. أما القسم الثاني فيبدأ عند شروق الشمس حين باغت هذا الثور صياد وكلابه، يغادر الثور مكانه ويعتلي شرفات الأرض أو ربوة أو كثيباً من الرمال، وتدور هناك معركة ضارية بين الكلاب وبين الثور تنتهي بأن يؤبد الثور الكلاب حتفها، ويصطبغ بدمائها، ثم ينطلق في عرض الصحراء جديلاً مزهواً بانتصاره كأنه الكوكب الدرّي. يقول لبيد:

كَأَخْنَسَ	نَاشِطٍ	جَادَتِ	عَلَيْهِ	بِبُرْقَةٍ	وَاحِفٍ	إِحْدَى	الليالي
أَضَلَّ	سِوَارَهُ	وَتَضَيَّفَتْهُ	نَطُوفَ	أَمْرَهَا	بِيَدِ	الشَّمَالِ	
فَبَاتَ	كَأَنَّهُ	قَاضِي	نُدُورٍ	يَلُودُ	بِعَرْقِدٍ	خَضِلٍ	وَضَالٍ
إِذَا	وَكَفَّ	الْعُصُونُ	عَلَى	قَرَاهُ	أَدَارَ	الرُّوقَ	حَالٍ
بَعْدَ	حَالٍ	بَعْدَ	حَالٍ	مُكَبًّا	يَجْتَلِي	نُقْبَ	النِّصَالِ ^(١)

(١) لبيد بن ربيعة العامري : الديوان ، دار صادر ، بيروت، ص ١٠٥.

لقد جادت على هذا الثور بريقة واحف (وهو مكان) ليلة لم ينقطع فيها مطول المطر تجري بها ريح الشمال الباردة، فبات وكأته يصلي صلاة يقضي بما نُذُورًا بجانب شجر الغرقد المُبتدئ المتكبر من لينه ونبات السدر البري الذي التجأ إليه، وتراه يدير قرنيه بارتعاش إلى الأعلى منكمشًا كلما سقطت على ظهره قطرة ماء من غصون الشجر، ثم يخفضه وقد مال إلى جنبه، وهكذا مرة بعد مرة فكأتمًا حركته هذه بتكرارها حركة صَيقلٍ يجلو السيوف.

ويقدم لنا النابغة من خلال سرد القصة صورة واضحة لهيئة الثور الجسدية، فهو أبيض ذو خطوط وقوائمه موشاة باللون الأسود، وهو من وحش خبة أو تعشار الشهيرة بالثيران الوحشية، وحيد قد طرده الصيادون عن حلائله، بات هذا الثور ضيفًا على شجرة أرضي ساهزًا ليله يسرح أبصاره في جنبات الصحراء، مطيلاً النظر إلى الأشباح متمسكًا للأصوات يدفع الرياح ويصدّها عن جسمه بجبته وقرنيه، ويغالب الأمطار التي ألجأته إلى هذه الأرطاة، وأخذت ترميه سحائب الليل بحبات البرد الجامد. يقول النابغة: (١)

كَأَنَّمَا الرَّحْلُ مِنْهَا فَوْقَ ذِي جُدِّ ذَبَّ الرِّيَادِ إِلَى الْأَشْبَاحِ نَظَارِ
مُطَرِّدٌ أَفْرِدَتْ عَنْهُ حَلَائِلُهُ مِنْ وَحْشٍ وَجَرَّةٍ أَوْ مِنْ تَعْشَارِ ذِي قَارِ
مَجْرَسٌ وَحَدَّ جَابَ أَطَاعَ لَهُ نَبَاتٌ غَيْثٍ مِنَ الْوَسْمِيِّ مِبْكَارِ
سَرَاتِهِ مَا خَلَا لِبَانَهُ لَمَقٌ وَفِي الْقَوَائِمِ مِثْلُ الْوَشْمِ بِالْقَارِ
بَاتَتْ لَهُ لَيْلَةٌ شَهْبَاءُ تَسْفَعُهُ بِحَاصِبٍ ذَاتِ إِشْعَانٍ وَأَمْطَارِ
وَبَاتَ ضَيْفًا لِأَرْطَاةٍ وَالْجَاهُ مَعَ الظَّلَامِ إِلَيْهَا وَابِلٌ سَارِ

أما صراع الثور مع الطبيعة الكنود عن " بشر بن أبي خازم " فهو أشبه ما يكون بمعركة سماوية دارت بين الكواكب، فقد شبّه ثور خبة بكوكب وقاد، ولعله يقصد بذلك كوكب الشعرى (كوكب شديد الالتماع) وجعله هدفًا لبعض الكواكب والأجرام السماوية والتي تحاربه فترميه بالمطر والبرد. إن أعداء الثور (الشعرى) هما برج العقرب و برج الأسد اللذان سَكَبَا وابل المطر؛ الذي أخذ يسحُ عن ظهر الثور الذي بات مستكينًا كما يستكين الرَّمْدُ إلى ألم العين التي يتساقط دمعها من تلقاء نفسها.

يقول بشر: (٢)

- (١) النابغة الذبياني: الديوان، تحقيق وشرح: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ص ٣١.
(٢) بشر بن أبي خازم: الديوان، تحقيق: عزة حسن، ط ٢، دار صادر، بيروت، ص ٥٥.

كَأَنَّهَا بَعْدَ مَا طَالَ الْوَجِيفُ بِهِ مِنْ وَحْشٍ خُبَّةٌ مَوْشِيٌّ الشَّوَى فَرِدُ
 طَاوٍ بِرِمْلَةٍ أَوْرَالٍ تَضَيَّفُهُ إِلَى الْكِنَاسِ (١) عَشِيٌّ بَارِدٌ صَرْدُ (٢)
 فَبَاتَ فِي حَقْفٍ أَرْطَاةٍ يَلُودُ بِهَا بِهَا كَأَنَّهُ فِي ذُرَاهَا كَوَكَبٌ يَقْدُ (٣)
 يَجْرِي الرِّذَاذُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُنْكَرِسٌ كَمَا اسْتَكَانَ لِشَكْوَى عَيْنِهِ الرِّمْدُ
 بَاتَتْ لَهُ الْعَقْرَبُ الْأُولَى بِنَثَرَتِهَا وَبَلَّهُ مِنْ طُلُوعِ الْجَبْهَةِ الْأَسْدُ

بعد أن يقضي الثور ليلة قاسية البرد والمطر متفرّداً قلماً متوجّساً ساهراً لا تغمض له عين يتبع بناظره الغيوب والأشباح ويتلّقط بأذنيه أخفت الأصوات يجيء الصبح إليه، ولكن أي صبح صبحه، إذ تباكره مع شروق الشمس كلاب الصياد الضارية الشرسة المجموعة، وينطلق صوبه كالسهم، فتحركه عن مكانه إلى مرتفع من الأرض، حيث تدور بينه وبينها معركة الموت المحتم له أولها.

ويتابع " بشر " قصة الثور بقوله:

فَفَاجَأَتْهُ وَلَمْ يَرْهَبْ فُجَاعَتَهَا غُضْفٌ (٤) نَوَاجِلُ (٥) فِي أَعْنَاقِهَا الْقَدْدُ
 مَعْرُوقَةُ الْهَامِ (٦) فِي أَشْدَاقِهَا سَعَةٌ (٧) وَلِلْمَرَاقِ فِيهَا بَيْنَهَا بَدْدُ (٨)
 فَأَزَعَجَتْهُ فَأَجَلَى (٩) ثُمَّ كَمَّرَ لَهَا حَامِي الْحَقِيقَةِ يَحْمِي لَحْمَهُ نَجْدُ (١٠)

لقد فاجأته عند الصباح كلاب الصياد النحيلة مسترخية الأذان مطرقة الأعناق دقيقة الرؤوس، قليلة اللحم، بعيدة ما بين اليدين، هذا الثور بعدما ضاق ذرعاً بليله البارد القاسي،

(١) الكناس: بيت الريم.

(٢) صَرْدُ: شديد البرودة.

(٣) يَقْدُ: يتوهج.

(٤) غُضْفٌ: مسترخية الأذان (الكلاب).

(٥) نَوَاجِلُ: هزيلة .

(٦) الهام: ظهرت عروق الرأس من شدة نحولها.

(٧) سَعَةٌ: ذوات أفواه واسعة.

(٨) بَدْدُ: إتساع.

(٩) فَأَجَلَى: ترك مكانه.

(١٠) نَجْدُ: باسل.

ولكنه لم يرهب ولم يخش هذه البعثة منها، وأسرع من مكانه يعلو مرتفعا من الأرض ثم انعطف عليها بالطعن شجاع حامي الضمّار.

ويقدم لنا النابغة صورة رائعة للمعركة التي تنشب بين الثور والكلاب، فبعد أن وصف لنا الليلة الشهباء التي أخذت تسفع الثور بالبرد والأمطار، يحدثنا كيف انجلت هذه الليلة عن صبح مشؤوم. لقد أهدى له صياد من أنصار (قوم اشتهروا بالصيد) عاري الأشاجع ليس على جسمه سوى القليل من الثياب البالية يسعى بكلاب طال صيامها وتجويعها، فهي نحيلة من شدة الجوع ومن كثرة الرحيل بها من مكان إلى مكان، وما أن استقر الثور قليلا بعد نفوره العفوي (العشوائي) حتى أرسل الصياد في إثره كلابها العشرة الضارية، فلم حين النور ولم يقبل على نفسه عار العزيمة، وكرّ عليها وشكّ بقرنه صدّر أوليا ثم انثنى الثاني فطعنه طعنة بعيدة الغرر، وأهدى للثالث طعنة نافذة من طعنات عارف مجرب، ثم بقيت في السبعة الباقين يكرّ بالروق (قرن) عليها حتى شفى نفسه وقضى مآربه منها، ثم انقضّ كالكوكب الذي يبدي فنونا من العدو السريع، يقول النابغة:

حَتَّى إِذَا مَا انْجَلَّتْ ظِلْمَاءُ لَيْلَتِهِ	وَأَسْفَرَ الصُّبْحُ عَنْهُ أَيَّ إِسْفَارِ
أَهْوَى لَهُ قَانِصٌ يَسْعَى بِأَكْلِيهِ	عَارِي الْأَشَاجِعِ مِنْ قُنَاصِ أَنْمَارِ
عَالَفُ الصَّيْدِ تَبَاعُ لَهُ لَحْمٌ	مَا إِنَّ عَلَيْهِ ثِيَابٌ غَيْرُ أَطْمَارِ
يَسْعَى بَعْضُفٍ بَرَاهَا فَهِيَ طَاوِيَةٌ	طَوَّلُ ارْتِحَالٍ بِهَا مِنْهُ وَتَسْيَارِ
حَتَّى إِذَا الثَّورُ بَعْدَ النَّفْرِ أَمَكْنَهُ	أَشْلَى وَأَرْسَلَ غُضْفًا كُلُّهَا ضَارِ
فَكَرَّ مَحْمِيَّةً مِنْ أَنْ يَفِرَّ كَمَا	كَرَّ الْمُحَامِي حِفَاطًا خَشِيَّةً الْعَارِ
فَشَنَّكَ بِالرُّوقِ مِنْهُ صَدْرَ أَوْلَاهَا	شَنَّكَ الْمُشَاعِبِ أَعْشَارًا بِأَعْشَارِ
ثُمَّ انْثَنَى بَعْدَ لِلثَّانِي فَأَقْصَدَهُ	بِذَاتِ ثَغْرِ بَعِيدِ الْقَعْرِ نَعَارِ
وَأَثْبَتَ الثَّالِثَ الْبَاقِيَ بِنَافِذَةٍ	مِنْ بَاسِلِ عَالِمِ بِالْطَّعَنِ كَرَارِ
وَوَظَّلَ فِي سَبْعَةٍ مِنْهَا لِحْفَنَ بِهِ	يَكُرُّ بِالرُّوقِ فِيهَا كَرَّ إِسْوَارِ
حَتَّى إِذَا مَا قَضَى مِنْهَا لُبَانَتَهُ	وَعَادَ فِيهَا بِإِقْبَالِ وَإِدْبَارِ
انْقَضَّ كَالْكُوكَبِ الدَّرِيِّ مُنْصَلَّتَا	يَهْوِي وَيَخْلُطُ تَقْرِيْبًا بِإِحْضَارِ (١)

(١) النابغة الذبياني: الديوان، ص ٣١.

تتخذ قصة الثور الوحشي عند شعراء هذيل شكلاً آخر عما وجدناه عن غيرهم من الشعراء، فبينما ذكر الشعراء الآخرون قصة الثور عَقَت الحديث عن الناقة نجد أن القصة تجيء عند شعراء هذيل في قصة المرثاة في معرض التعزي والتأسي عن الفقد والموت. وفي أثناء الحديث الذي يؤكدون من خلاله حتمية الموت الذي يدرك كلَّ موجود حتى هذا الثور وذلك الوَعْلُ المعتصم بأعالي الجبال وحمار الوحش والنعام. وعادة ما يستخدمون قبل ذكر القصة عبارة (والدهر لا يبقى على جدِّ ثأنه) أو ما شبهها من العبارات، ثم يذكرون أحداث القصة، التي تنتهي بأن يلقي الثور مصرعه- أو أي حيوان آخر- ولكن ليس على يدي الكلاب وإنما بسهمٍ يرمي به الصياد فيصيب مَفْتِلاً فيثب على وجهه صريعاً ، أو يكتفي الشاعر بذكر أن الدهر لا يبقى على جدِّ ثأنه لا هَذَا ولا ذَاكَ.

يعود من جديد على جناحي قصيدة الرثاء إلى لحظة الليل وعمته من جديد، وهكذا بدأت القصة في الليل، والليل يخفي من الأشياء أكثر مما يظهر، وعلى ذلك فكل الصور الخارجية التي ساقها الشعراء ووصفوا بها الثور وصفاً خارجياً في كل حركة جسدية أو حسية إنما هي في حقيقة أمرها مرآة جلية لأعماقه وأعماق الشاعر نفسه، وما هذه الأوصاف الخارجية إلا محاولة من الشاعر أن يترجم لنا عن الليل بحلّة النّهار، لعله الوضوح والسهولة. وبهذا يكون العربي قبل الإسلام قد إكتشف أنه يقف في مواجهة قدر غاشم لا يرحم ولا يلين، ومن هنا تبين له ضرورة تحمل تبعات وجوده بنفسه، حياته، وموته، سعادته وشقاؤه، أماله وآلامه، كل ذلك ببطولة نادرة بحيث يحق لنا أن نزعّم بأن ترقى ما انتهى إليه الشعر العربي قبل الإسلام؛ إنما هو تلك النغمات الرائعة والخالدة، نغمات البطولة والحماسة.

٢- قصة الحمار الوحشي :

تفوق قصص الحمر والأتن الوحشية بقية القصص من الناحية الكمية، ومن الناحية الكيفية معاً. وقد لاحظ ذلك د. محمد النويهي ورأى أن قصة حمار الوحش من أهم الموضوعات الفنية، وجاء عدد منهم فيه بطائفة من أجمل شعرهم، والشعراء الذين أطالوا في هذه القصة قد اتخذوها مجالاً رائعاً يكشفون فيه عن عملهم الواسع بأحوال الصحراء، وملاحظتهم الطويلة لظواهرها وأحداثها وخبرتهم الدقيقة بما تعج به من حياة الحيوان والنبات، وقدرتهم الفنية الكبيرة على الوصف الحيّ لما يسجلون من صور وما يؤدون من عواطف^(١). وهي قصص مختلفة البداية مختلفة النهاية متفقة فيما بينها من أحداث، إذ عادة ما يتم الانتقال إلى هذه القصة في معرض الحديث عن الناقة عن طريق ادّعاء الشبه بينها أو

(١) محمد النويهي: الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، ص: ٤٧٨-٧١٢.

بينه وبين الحمار أو الأتان، وربما شبه الشاعر ناقته بالظليم والثور الوحشي ثم قال: (أفذلك أو افتلك) إن كانت نعامة أو بقرة وحشية ويعقب بوصف الحمار أو الأتان.

أما في قصائد الرثاء فقد جاءت القصة تعبيراً عن حقيقة الموت، وتعزوا بها عن مصابهم لذلك فهي تتبدى بتأكيد حقيقة الموت وعادة ما يستخدمون عبارة " تَاللهِ يَبْقَى عَلَى الأَيَّامِ مُبْتَقِلٌ " أو " الدهر لا يبقَى على حدائنه " أو ما أشبه ذلك، أما الخاتمة فنتراوح بين خاتمة سعيدة ينحو فيها الحمار وأتانه من سهم الصياد المختبئ على ماء وصلن إليه الخمر بعد شديد عناء، أو لا يعرض لها صياد أصلاً. وبين خاتمة حزينة تنتهي بموت الحمار وأتته أو مصرعها على يد الصياد وذلك في قصائد الرثاء والتعزي.

وتستغرق هذه القصة في الزمن شهور الربيع وشهور الصيف كذلك، بينما لا تستغرق قصة الظليم أكثر من ساعات النهار، وتكتمل قصة الثور الوحشي في ليلة بين مساء وصباح، وربما استغرقت قصة البقرة الوحشية سبعة أيام ليلاليها.

ونلاحظ أن الشعراء يحددون لنا هيئة الحمار الوحشي على أنه كرية الوجه، سمين غليظ، متساقط الشعر، مكدم في الطرد والعض والرفس، ضامر البطن، شديد، أبيض العجز ذو علامتين وجدّتين، كثير الشهاق. وأما الأتان فهي طويلة العنق، بيضاء العجز، ذليلة حيناً، ومتأبئة أخرى غير حامل في بعض القصائد. تبدأ القصة في الربيع بعد نزول الأمطار عندما تخضر أودية الصحراء بالأعشاب والنباتات، فيقوم الحمار آنئذ باختيار زوجة أو أكثر ويطرد بقية الحمر حتى أولاده منها. ويختلي بهن بعد أن يذللهن ويجعلهن ينفدن له من الأودية الخصيبة الممرعة سعيداً هانئ البال لا يعكر صفوه إلا ما يكون من حروب أتانه أو أنثاه أو مما نعتها- وذلك إلى حين ثم تصير إلى الحسنى- وقد كفاه العشب الندي الطري الذي يتبعه بين الأودية مؤنة ارتياد المياه، فأمتلك على هذه الحال جسم الحمار قوة وحيوية، فأخذ يملأ جنات الواد بالصياح والتغريد ويقبل على أتته اللاتي جمعهن وعلتهن سيطرته البالغة حد القسوة، فهو يقتادهن حيث شاء ويدفعهن بخشونة وعنف غير عابئ باحتجاجهن، وهو عارف سوء طويتهن فارتاب كما يقول لبيد: (١)

يعلوُّ بها حدبُ الإكامِ مسحَّجٌ قد رابَهُ عصيائُها ووحامُها

لذلك فهو يغار عليهن حتى من أولاده منهن، فيقوم بطرد هؤلاء الأولاد عن أمهاتهم بقسوة بالغة لكن الأثن لا تستسلم بسهولة إلى هذه الغطرسة، يجالذنه ويعضضنه ويقينه بالحوافر كلما دنا منهن، ويحاولن الهروب منه ولكن دونما طائل إذ أنه يسد في وجوههن جميع السبل

(١) لبيد: الديوان، ص ١٢٠.

فيصرن إلى الحسنى. يدوم نعيم الحمار وأنته في هذا المكان إلى أن يهيج الحر ويشتد، وتهب رياح الصيف اللافحة، وتتوقد الحصى، وتجف المياه، ويصوح العشب ويدوي وتجف الجلود. وفي بعض القصائد تقف القصة عند هذا الحد، ولا شك في أن ذلك نتيجة لضياح الشعر إذ أن القصة طويلة كما سنرى، وتمضي القصة في قصائد أخرى وتحديثا كيف جفت المياه وهزلت الأتّن، ويبس العشب واشتد الحر، فأحس هذا الراعي الأمين (الحمار) أن من واجبه الارتحال عن هذا المكان الذي يتهدهه خطر الجذب والقحط إلى مكان آخر يوفر أسباب الحياة، فاعتلى مرتفعات من الأرض فأخذ يقسم أمره ضاربا أخماسه لأسداسه، مطيل الصمت دائب التفكير والتذكر، مستعينا بخبرته لكل أماكن المياه التي يمكن أن يرحل إليها وبعد أن يحسم أمره ويعتزم المضي إلى مياه تخيره، ينتظر قدوم الليل الذي تطيب له الرحلة فيه، ثم يصف لنا الشعراء نزوح الحمر عن هذا المكان، وانتجاعها مكان آخر، ويصورون لنا رحلة القطيع في الصحراء، وما أن يحين وقت الرحلة في المساء حتى يصرخ الحمار في الأتّن، ويدفعها أمامه قاصدا المكان الذي تخبره دون أن يفسح لهن مجالا لمغافلتة إذ أنهن غيبات لا يقدرن وجه الحكمة في الارتحال عن هذا المكان الذي يرون البقاء فيه بينما هو عنده مساو للموت تماما.

يدفع الحمار الأتّن بكتفيه ويعضهن غير آبه برفسهن ويطوف بهن أطراف الصحراء، يعلو بهن حذب الأكام ويهوي إلى السهول رافعا في السماء سحابة من غبار باحثاً عن الماء، محافظا عليهن من الفرار، وتسقط بعض الأتّن في هذه الرحلة الشاقة أجنحتها، وإلى هنا تنتهي القصة في بعض القصائد كما نجد عند " الشماخ، الأعشى والنابعة، وبشر بن أبي خازم ". وبعد جهد جهيد يصل الحمار وأنته إلى الماء بعد قطع المسافات الطويلة، وتفجير الصيادين لها من ماء إلى ماء الذي طال البحث عنه، هذا الماء الجديد قد نما من حوله العشب والنبات وعلا صفحته العرمد والبريم والطلّح، فيتقدم الحمار ويخوض بالأتّن الماء متوشحاً بما طفا على وجه الماء من نبات، يشفي غليله ويطفىئ ظمأه بالنهل من هذا الماء العذب السلسيل، ويبيل جسمه الذي كوته الشمس ولفحه الهجير، ويرفع صوته بالصياح معلنا فرحته و حيوره بادئا حياة جديدة وهنا تنتهي قصائد لبيد بعامة، وبعض قصائد امرئ القيس وزهير وال شماخ . وتستمر بقية القصائد ويدخل مسرح الأحداث شخصية جديدة هي شخصية الصياد ؛ اختبأ الصياد في فترة قرب الماء ينتظر الحيوانات الصادية، التي يعيش هو وأسرته من صيدها وقد بان القفر والارمال عليه، فهو غائر العينين مشقق اللحم من شدة الحر، ضئيل الجسم يبيت في الصحراء باحثا عن صيد، وما أن يخوض الحمر في الماء وتطمئن، يرسل الصياد سهما أتقن صنعه يرمي به عن قوس منخير .

وهنا تفترق قصيدة الرثاء عند الهذليين عن باقي القصائد، بينما يصيب سهم الصياد الحمر ويأبدها حنوقها في قصائد الرثاء، نجد أن سهم الصياد يطيش ويتكسر على الصخور أو الأحجار الصلبة وتلوذ الحمر بالفرار .

تشير فترة الربيع في هذه القصة إلى الحياة المستقرة التي لا يعكر صفوها كدر، وكأثما الصيف وجفاف المرعى إشارة إلى أن الأثن قد حملت وأمكنت من الصليب من جهة ، وإلى المتاعب اللاشعورية التي أصبح الأب يحس بها على غير وعي منه من الأبناء المرتقبين الذين سينازعون السلطة والسلطان ؛ ليس على شيء من الماء والمرعى بل وعلى أثنه أيضا .إلا أن ذلك كله مشروط بتوفر الماء والأمن والاستقرار في آن معا أنه يغادر مريعة الذي جف ويضرب في مجاهل الصحراء إلى أن يصل إلى الماء حيث ينعم بالحياة المستقرة الآمنة التي كان قد فقدها، وكأثما قد دار الزمان به دورة كاملة، إذ جف به المرعى في الصيف وهو ذا المرعى يخضر له من جديد، وهكذا يجد نفسه من جديد مضطرا إلى الدفاع عن بقائه في وجه كل العوادي. ولكن ما يتضح لنا هنا أن الحياة سلسلة بدايتها هي في الوقت نفسه نهايتها، ونهايتها هي عين بدايتها، وما الربيع إلا علامة على نقطة البدء الملائمة التي يطيب للحياة ويحولها البدء منها، وهي بداية تركز في مجملها إلى قدر كبير من التفاؤل، على أن الحمار لا يصل أحيانا

أما المرثاة فإن إطار الصورة يتسع حتى تشف لنا نفس الشاعر عن يقين اليم، بأن لحظة الموت هي الخاتمة الضرورية لكل الشيء وقد بينا في الصورة الثور الوحشي إن الحرص على الحياة وحمايتها هما العنصران اللذان دفعا بالثور إلى مقارعة الكلاب والانتصار عليها.

ويمكن أن تفتقر قصة حمار الوحشي باعتبارها تعبيراً عن اهتداء المجتمع الإنساني إلى فكرة الحياة الاجتماعية التي تلتزم بالمثل العليا الأخلاقية، وهو ما تمثل في استئثار الحمار بعض من الحليلات من أفراد القطيع. وليس بكل أثن القطيع، فكأثما اكتشف الناس أن الاعتراف المتبادل بحق كل منهم بالحياة للآخر، هو شرط إمكان اعتراف الآخر لي بالحياة. وفي صورة الصياد والحمر يمكن أن تتصور حاجة أو هدفا (الماء) يقابلها خوف من فقدانها متمثل في سهم الصياد، ويصبح تعاقب الصور على هذا النحو امتداد الحياة يعبر عنه في صورة الهياج الجنسي، والطبيعة الدافئة، ولكن يعتبر هذه البهجة خوف من المفاجآت المجهولة، ونوع من التفكير الذي يرى السهم لا يصيب.

سنتعرف على أحداث هذه القصة المروعة المشوقة المفعمة بالمشاعر والانفعالات ذات الدلالة العميقة من خلال أبيات لبيد في معلقته التي جاءت عقب الحديث عن أتان وحشية وحمارها شبه بها ناقته. يقول لبيد بادئاً قصة البقرة:

أَفْتَلِكْ أُمَّ وَحْشِيَّةً مَسْبُوعَةً خَذَلْتُ وَهَادِيَةً الصَّوَارِ قِوَامُهَا
خَنَسَاءُ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ عَرَضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبِغَامُهَا
لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوُهُ عُبْسٌ كَوَاسِبُ لَا يُمْنُ طَعَامُهَا
صَادَفَنَّ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصْبَنَهَا إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيئُ سَهَامُهَا^(١)

يضعنا لبيد منذ البدء أمام حقيقة هامة تعتبر مدخلا لفهم هذه القصة، وفهم قصة الأتان التي سبقتها وهي: إن حديثه لم يقع بعد، وأن لديه المزيد من القول الذي يرى ذكر هذه القصة أصلح لبيانه، وأبلغ في التعبير عنه، وما صورة الأتان إلا لحظة من اللحظات حتى يتم إبعاد الصورة التي يريد رسمها، وصورة الأتان لا تسعفه في ذلك، ووجد في مشهد البقرة رحابة تمكنه من ترجمة انفعالاته العارمة فقال: " أن تلك الأتان في ما صورت لك من أمرها، وما أخبرتك به عن أحوالها، وما أبديت لك من أحاديث نفسها أم هذه البقرة الوحشية التي تراخي بها حبّ النبات والرعي الذي دعاها فأخذت ترعى ذلك العشب الغضّ الندي مع بقرات القطيع وثيرانه، تنتبّع مقدمة القطيع هائلة هادئة البال تتلذذ بما طالب لها من الطعام، وبما جادت لها الحياة من وقت سعيد ولكن السعادة ثوب مستعار. و تستيقظ في نفس البقرة ذكري - وليدها - ويعترتها إحساس مبهم، وبأن داع دعاها إلى العودة إليه وهي لاتعلم أن سهام القدر التي لا تخطيء قدر منه بالموت على أيدي سباع كاسرة تتقن الصيد وتحصل على طعامها متى شاعت بفضل قوتها العتيدة، لقد حدث ذلك الأمر بسهولة و وفق قانون الحياة. بينما هي غافلة عنه تستمتع بلحظات سعادة جاد الزمان، وعادت البقرة تبحث عن ولدها الحبيب الغض الصغير وترسل أصواتها لعله يكون قد أختبأ و تخفى بين النبات

فيعود إليها عند سماع صوتها، وارد لها جنبات المكان صدى صوتها، فقد أسمعت لو نادته حيا إذ لم يبق منه غير آثار الدماء، وأشلاء معفرة بالتراب.

ولئن كان لبيد قد مرّ مسرعا بلحظة القصة هذه التي تبتدئ بما قصة البقرة الوحشية، فإن الأعشى كان أكثر تمهلا في وصف هذه اللحظة مما يبسرّ لنا ما تنبض به من أحاسيس نفسية وخلجات داخلية جعلتنا نشعر بعمق مأساة هذه البقرة التي لم يكن الوحش في الحقيقة

(١) لبيد : الديوان ،ص١٨١.

يأكل سوى لحمها، وسرّ هذه المأساة كلها عند الأعشى يكمن في هذه الغفلة البسيطة التي كانت من هذه البقرة؛ حين ذهبت تبحث عن المرعى الذي تستجمع منه اللبن لوليدها، فإذا بالسباع تغافلها في هذه اللحظة عينها وتجعل منها بقرة تكلّي، ذلك أن السباع ما كانت في هذه الغفلة تطعم شيئاً غير البقرة ذاتها. والحقيقة أنه لم يعد بهذه البقرة إلى ابنها غير قطرات اللبن التي اجتمعت في ضرعها، ولكنها عادت مسرعة لتجد أشلاء هذا الوليد الذي لم يكن لسبب موته إلاّ بحث أمه عن أسباب الحياة له، وعندما أدركت أن ما رزئت به يرجع إلى اللحظة التي حانت منها، ولكنها تعلم في الوقت نفسه أنها مهما حاولت مجانبة لحظة كهذه فإن الموت سيخترم جسد الحياة ممثلاً في جسد وليد البقرة. يقول الأعشى: (١)

حانت لِيَفْجَعَهَا بِابْنٍ وَتُطْعِمَهُ لَحْمًا فَقَدْ أَطْعَمْتَ لَحْمًا وَقَدْ فَجَعَا
فَظَلَّ يَأْكُلُ مِنْهَا وَهِيَ رَاتِعَةٌ حَدَّ النَّهَارِ تُرَاعِي ثِيرَةً رُتَعَا
حَتَّى إِذَا فَيْقَةٌ فِي ضُرْعِهَا اجْتَمَعَتْ جَاءَتْ لِتُرْضِعَ شِقِّ النَّفْسِ لَوْ رَضَعَا
عَجَلًا إِلَى الْمَعْهَدِ الْأَدْنَى فَفَاجَأَهَا أَقْطَاعُ مَسْكِ وَسَافَتْ مِنْ دَمٍ دُفَعَا
فَانصَرَفَتْ فَاقْدَا تَكْلَى عَلَى حَزْنٍ كُلُّ دَهَاها وَكُلُّ عِنْدَهَا اجْتَمَعَا
وَذَاكَ أَنْ عَفَلَتْ عَنْهُ وَمَا شَعَرَتْ أَنَّ الْمَنِيَّةَ يَوْمًا أَرْسَلَتْ سَبْعَا

إن القصة تبدأ عادة بسيطة ثم تنمو أحداثها وتتعدد شيئاً فشيئاً إلى أن تبلغ ذروتها، ثم تنتهي بالمأساة إن كانت القصة مأساوية كما يحدث للثور والحمار الوحشيين ولغيرهما في قصائد الرثاء، أما هاهنا فالقصة تبدأ بمأساة البقرة وفجيعتها فإذ عسى أن تتكشف عنه بقية أحداث القصة؟ يتكشف لنا الجواب من خلال أبيات لبيد: (٢)

بَاتَتْ، وَأَسْبَلٌ وَاكِفٌّ مِنْ دِيمَةٍ يُرْوِي الْحَمَائِلَ، دَائِمًا تَسْجَامُهَا
يَغْلُو طَرِيقَةَ مَتْنِهَا مُوَاتِرًا، فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ عَمَامُهَا
تَجْتَأَفُ أَصْلًا قَالِصًا، مُتَنَبِّدًا، بَعْجُوبٍ أَنْقَاءٍ، يَمِيلُ هِيَامُهَا
وَتُضِيءُ فِي وَجْهِ الظَّلَامِ مَنِيرَةٌ كَجَمَانَةِ الْبَحْرِيِّ سَلَّ نِظَامُهَا
حَتَّى إِذَا انْحَسَرَ الظَّلَامُ، وَأَسْفَرَتْ بَكَرَتْ تَرْلُ عَنِ الثَّرَى أَرْلَامُهَا

(١) الأعشى: الديوان، ص ١٦٣-١٦٤.

(٢) لبيد بن ربيعة: الديوان، ص ١٧٢-١٧٣.

عَلَيْتُ تَبَدُّ فِي نِهَاءِ صَعَائِدٍ سَبْعًا تَوَامًا كَامِلًا أَيَامُهَا
 حَتَّى إِذَا يَبَسَتْ، وَأَسْحَقَ خَالِقٌ لَمْ يُبْلِهِ إِزْضَاعُهَا وَفِطَامُهَا
 وَتَسَمَّعَتْ رِزًّا الْأَنِيسِ، فَرَاغَهَا عَن ظَهْرِ غَيْبٍ، وَالْأَنِيسُ سَقَامُهَا
 فَعَدَّتْ، كِلَا الْفَرَجَيْنِ تَحْسِبُ أَنَّهُ مَوْلَى الْمُخَافَةِ، خُلْفُهَا وَأَمَامُهَا

باتت هذه البقرة جزءة، والهة، تطوف بالصحراء باحثة عن فقدها، تجيش نفسها بكل انفعالات الأمومة السامية العارمة، يكاد قلبها ينفطر على صغيرها الوديع، والحياة من حولها تسير سيرها المعتاد غير آبهة بما يحدث لأبنائها.

نزل المطر الذي اعتاد النزول في مثل هذه الأوقات يروي الخمائيل نسكا به، وتفرح به الأرض وكل المخلوقات التي طالما انتظرت ماء السماء. هذا العطاء من الطبيعة يكمن في جوهره الخير والشر معا، وقد كان شرًا عليها إذ أخذ يتساقط غزيرًا عليها يتسبب على ظهرها فيزيد شعورها ببرد هذه الليلة المكان التي ستر السحاب فيها نجوم السماء، وهدد البقرة بالهلاك فدفعت بها غريزة الحياة إلى شجرة تقلص أغصانها من شدة البرد ، فكيف حال البقرة ؟

تحاول أن تجد مكانا لها في جوفها يحميها من وابل المطر العالي، ولم تكن الرمال المحيطة بها أكثر رحمة من ذلك الوحش الذي استغل غفلتها ففجعها بوليدها، ولا من المكر الذي أبدى لها الوجه العبوس، إذ كانت أطراف الرمال لينة هشة ترتجف من تحتها وتنهال فلا تتمكن من الثبات والاستقرار. وألمعت بروق السماء لينير لنا هذا المشهد الرائع الذي تبدو فيه البقرة البيضاء الفلقة المترددة في هذا المكان بحيرة. وارتعاش وسط الليل الحالك وكأنها حبة لؤلؤ انفرط عقدها فخرت قلقة مرتجفة تتقلقل على الأرض. وما إن انحسر الظلام حتى أصبحت الأرض غرقى بالمياه تنزلق عليها قوائم البقرة فتبعثر في عدوها وسيرها وهي تتردد بين غدران صعائد متلفنة ذات اليمين وذات الشمال سبعة أيام بليلاتها ،ممدودة العنق رافعة الصوت ملهوفة تبحث عن رضيعها رغباء لا تروم لسواه مؤرنة بين مطلب الحياة ومطلب الأمومة وحيدة تجاه القدر. أنتجو بنفسها ؟ لكن الأمومة غل لا يتحطم، وهذا الضرع الذي امتلأ لبنا وجفّ دونما إرضاع لمن ؟ وتنتصر عاطفة الأمومة فتبارح مكانها وتتعرض من جديد لآلام جديدة، على أن سلسلة التحديات التي تواجهها البقرة لم تشأ أن تنتهي عند هذا الحد فلم يزل أمامها شوط آخر تقطعه في نظامها مع الحياة والطبيعة، وما يزال في جعبة القدر من السهام ما يهدد أمن هه البقرة وحياتها، ويحتاج منها إلى مزيد من القوة لكي تمضي في طريق الحياة بعزم جديد وترسم صورتها الكونية، وفي هذه اللحظات الرهيبة الفاتلة التي يبدأ فيها ديبب اليأس إلى نفس البقرة، ويبلغ فيها الضعف والانهيار الجسدي منها ذورته ،

وتقطع الطبيعة بينها وبين وليدها الوحيد هذا القطع الذي يمثله جفاف الضرع في اللحظات هذه التي تتحطم عندها أعصاب أقوى الكائنات وتتهار، باغتها صوت خفيّ لإنسان لم تعلم مصدره ولم تتبين حقيقته. وما الإنسان إلا داؤها وسقامها هو الصياد الذي يحمل لها الموت، فيطير قلب البقرة هلعًا و ذعرًا ورعبًا وتجهد في مكانها وقد شلت حركتها، ولكنها أدركت بفطرتها أنها إن تثبت في مكانها تقصدها النبال فانطلقت تفري أديم الأرض وهكذا يسير الشاعر في تتبع هذه الانفعالات مختارًا منها أعقد وأروع ما يجري في النفس البشرية ما أشباهها. لقد انطلقت البقرة تحسب وجهة الموت .ويصور لنا لبيد في أربعة أبيات أحداث الصراع بين هذه البقرة وبين الصيادين وكلابهم والتي ينهي بها لبيد رائعته ، يقول: (١)

حَتَّى إِذَا يَبَسَ الرَّمَاءُ، وَأُرْسِلُوا
عُضْفًا دَوَاجِنَ، قَافِلًا أَعْصَامُهَا
فَلَحِقْنَ، وَاعْتَكَرَتْ لَهَا مَدْرِيَّةٌ
كَالسَّمْهَرِيَّةِ حَدَّهَا وَتَمَامُهَا
لِيَتُدَوِّهَنَّ، وَأَيَّقَتْ إِنْ لَمْ تَنْدُ
أَنْ قَدْ أَحَمَّ مَعَ الخُتُوفِ حِمَامُهَا
فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابٍ، فَضَرَجَتْ
بِدَمٍ، وَغَوَدِرَ فِي المَكْرَ سَخَامُهَا

لقد أرسل الصيادون إلى البقرة وابل من سهامهم لكنهم أخفقوا في إصابتها وذهبت سهامهم أدرج الرياح، ولما يبسوا من قتلها أرسلوا كلابهم الضارية المجوعة مسترخية الأذان فظلت تطارد البقرة حتى لحقت بها، وأيقنت البقرة أنها إن لم تقتل الكلاب تقتل، وأنه لا جدوى من التراخي أو إضاعة الوقت، فاستجمعت كل ما تملك من قوة، واستهدفت بقرن كسنان الرمح مقدمة النحد المتمثلة في الكلب(كساب)، فأوردتها حيا من الموت مخضبة بالدماء، ثم انعطفت على (سخام) فجرعتها كأس المنية وسيحتمها إلى عالم الموت الأبدي.

التحليل: كل صورة من صور الوصف تعبر عن لحظة مختلفة من لحظات الحياة، وهذه اللحظات على اختلافها ليست متناقضة بقدر ماهي متكاملة، إن تناقضها هو الذي يجعلها متكاملة ونعني بذلك أن الصورة الواحدة لا تكتمل أحيانا إلا بتجاوزها إلى صورة أخرى، وهذه الأخيرة (الصورة) لا يتحقق لها تمام نضجها إلا في اللحظة التي تليها وهكذا.

فكل لحظة يتحقق الكمال فيها للحظة التي تسبقها، ويتحقق كمالها في اللحظة التي تليها. وعلى ذلك فصورة الثور الوحشي هي لحظة من لحظات الحياة قد تتلوها صورة الحمار مثلا فتتجلي عليها، وقد تتلو صورة الحمار صورة البقرة، كما في معلقة لبيد، وقد يتم التوحيد بين stories, animals, heritage, Arabic, ancient نقطة الابتداء نفسها يعني أن لحظة الحياة قد انتصرت وعاد الحمار واهتدى إلى مرعى خصيب جديد فإن صورة البقرة الوحشية

(١) لبيد بن ربيعة : الديوان ، ص ١٧٤.

هي التي تترجم عن لحظة الحياة التالية التي سيمر بها الحمار من جديد بل وكل كائن آخر، بمعنى أن اللحظة التي، تغفل فيها البقرة عن ابنها وتلحق بالقطيع هي اللحظة التي تقابل استمتاع الحمار بمرعى آمن خصيب نفسها، وتذكر البقرة لولدها أنما يقابل تذكر الحمار لواجب ترك المكان والبحث عن الحياة وحفظ البقاء.

ويلاحظ أن فترة السعادة عند البقرة وعند الحمار لا تدم طويلا، وإن كانت عند البقرة أقصر حتى لتبلغ في قصرها طول حلم أو سهو لا يلبث أن يفتح النائم عينيه على ضوء الحقيقة، ومنذ هذه اللحظة تبدأ متاعب البقرة التي ليست في الحقيقة سوى ذريعة يتذرع بها الشاعر - شأنها الحمار والثور والظليم - حتى يسقط عليها دخيلة نفسه وكل ما يعاني من آلام ومشقات ومشاعر.

قد وجد في حيوان الصحراء موضوعا أو مناسبة يسقط عليه دخيلة نفسه، فالمقصود بالدرجة الأولى هو الإنسان، وما حيوان الصحراء سوى المعادل الموضوعي الذي تبدو من خلاله المشاعر بصورة رمزية هي هاهنا حيوان الصحراء.

يأخذ الشاعر في تصور عوادي الدهر وملامات الحياة التي تعدو على الإنسان، وأول ما يعزو البقرة من ذلك هو جهلها بمصير ولدها، وهو مدار القصة كلها، فالولد هنا وإنما هو الرمز الحي المتجسد للحياة، وما جملة الانفعالات التي تلم بالبقرة من قلق على ولدها والمطر وخذلان الرمال؛ إلا تصويرًا من الشاعر لسلسلة الانفعالات التي تولف في وجدان كل منا حياته وموته معا. فهذه الانفعالات تنتقل بالإنسان على جناح الشعر من اليأس إلى الرجاء، ومن الرجاء إلى اليأس. ولا ينسى الشاعر أن يبين لنا أن الحياة غالبا ما تخيب آمالها عندما ينتقل بنا من يأس إلى رجاء بل من يأس إلى يأس أشد. فها هي ذي البقرة قد أيقنت موت ابنها، وها هو ذا ضرعها قد جفّ، وهاتان الحالتان على ما فيهما من ألم تكاد تكونان ضربا من الطمأنينة ينجي البقرة من المضي في البحث عن ولدها وهو بحث لا طائل منه.

في هذا الوقت الذي يكاد يتحقق للبقرة فيها هذا الرجاء المشؤوم يفاجئها الصياد بكلابه فتتصدى لها وتتنصر عليها، وكأنما الكلمة الأخيرة لبقاء الحياة وديمومتها وتواصلها ونمائها، فمن قلب ذلك اليأس تحقق للبقرة قوة الحياة التي انتصرت بها، إن الرابطة بين صورة البقرة وصورة الحمار ليس كون الناقة مناط تشبيهه الحيوانين، وأنّ هذه الناقة واحدة في الصورتين، وإنما الرابط هو أن الصورتين هما صورة واحدة ينتقل الشاعر من واحدة إلى أخرى لا ليجلو للسامع قوة هذه الناقة وسرعتها فحسب وإنما ليجلو مشهدين يكمل الواحد منها الآخر لسيرة الانسان في هذا العالم .

وبهذا المعنى في وسج الناقة انتماء أن يستخلص تصورا لمفهوم الحياة أو لمفهوم الإنسان عند العرب ما قبل الإسلام من هذه القصص التي يسقط فيها الشاعر دخيلته على

حيوان الصحراء . ويمكننا القول أن " لبيد " كان بصيراً بأعمق أعماق قانون الحياة الكلي وبأعمق أعماق النفس البشرية ذلك أنه لم يكن ليصف بقرة وإنما كان يصف العلاقة بين الفرد والقدر ولاسيما إذا كلمنا أن الإنسان لا يكتشف وحدته قبالة القدر ؛ إلا عندما يكون في حالة من الحزن واليأس وفي هذه الوحدة يكتشف الإنسان كل ضروب الهم والقلق والخوف والحزن، وأنه يواجهها بمفرده.

إن قصة البقرة يمكن أن تحدث في أي زمان أي غير مرتبطة بالربيع_ كما هو الحال بالنسبة للثور، فهي تعبر على أنّ الوعي البشري قد نجح في استخلاص فكرة أن القدر يمكن أن يواجه سهامه في أي وقت وينجح الشاعر في تحويل لحظات مجردة ، والتي قد تكون باهتة باردة لو تم التعبير عنها تعبيراً منطقياً إلا لحظات عينية كأنما هي قد قادت من نفس كل واحد منا. إن القدر لا زمان له، إن زمانه هو زمان نزول النازلة هذا إلى جانب العلامة بين غفلة البقرة وبين فجبتها بولدها التي تهدف إلى أن تشير في نفس الإنسان الشك في أنه سعيد حتى في أكثر اللحظات التي يكون فيها على يقين من سعادته، فالبقرة لاهية سعيدة ترعى، ولكن هذه السعادة هي الألم بعينه على اعتبار أنها لحظات غفلت فيها عن وليدها فجاءت الفاجعة، هل كان بوسع هذه البقرة أن تلازم ابنها دائماً دون أن ترعى لكي تضمن لنفسها الحياة وله اللبن ؟ وإن حرسها على حياتها وعلى حياته أوقع بها الفجيعة فيا لسخرية العباد !

ثبت المصادر

- ❖ ابراهيم عبد الرحمان: الشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية، مكتبة لبنان ناشرون - الشركة المصرية العالمية للنشر، لونغمان، ط١، ٢٠٠٠م.
- ❖ بشر بن أبي خازم: الديوان، تحقيق: عزة حسن، ط٢، دار صادر، بيروت.
- ❖ ليبد بن ربيعة العامري: الديوان، دار صادر، بيروت.
- ❖ محمد النويهي: الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه، الدار القومية للطباعة والنشر.
- ❖ مصطفى ناصف: قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس للطباعة و النشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
- ❖ النابغة الذبياني: الديوان، تحقيق وشرح كرم البستاني، دار صادر، بيروت.
- ❖ وهب احمد رومية: الرحلة في القصيدة الجاهلية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.